(رعاة ونمل)

_ شوقي مسلماني.

\\

الجرحى

يتّكئون على جرحى.

\\

يسقي يدَه

مرّةً قمحاً ومرّةً فولاذاً.

\\

_ 1 _

كان يُعبّر، يَعتبِر، يُدبِّر،

يرتقي عالياً، مُرتقى عالٍ

ويُحلّق عالياً.

كان النسائمَ،

الظلالَ، الندى،

لسانَ الطيورِ المغرِّدة

وسقسقاتِ الجداول.

**

ينتظر سدى،

يتوقّع سدى، يأمل سدى.

خفيضاً في هاوية،

في لا قرار هاوية.

وخرجَ

ولم يعد.

**

كانت نظراتٌ

على ما اختبأ دون نظر،

على أَبعادِ النظرِ في الدِين،

أَبعادِ النظرِ في الداني والقاصي،

على التاريخِ الذي ينزفُ دماً

مِنْ جراحٍ ثخينةٍ

في جميع أنحاءِ جسمِه،

على ما لا يأبه به نظرٌ،

على ما لم يأبه به نظرٌ،

على ألمٍ لا ينقطع

وعلى ما يمكث وعلى ما يتبخّر.

**

يوزّعُ النظرَ في القريبِ وفي البعيد،

يرى البهاء والهباءَ، النِعَمَ والنِقَمَ،

الجبالَ، الغاباتِ، المغائر، الحقول، المدن،

الذين يلتئمون والذين لا يلتئمون،

الذين يرحلون والذين لا يرحلون،

الذين يتدافعون تدافع ذوات الحوافر،

الذين يقعدون قعودَ موتى،

الذين يعبدون الوحوشَ

والذين يتصدّون للوحوش.

ليسوا قِلّة

أولئك الذين يتصدّون للوحوش.

**

كان فاتراً وكان ناشباً،

هامداً وموزوناً، عارفاً وقلِقاً،

بين فكّي كمّاشةِ "بين"، في بطن "في"،

رفقةً سهلةً وكلمةً مواسية.

**

المساحة

بمقدار اتّساع الضوء.

**

حركةُ دائبةُ،

مذهبيّات وعنصريّات،

قِلّةُ عزّةِ النفس،

أحقادٌ تُستثار،

حكاياتٌ ليس فيها حكايات،

حكايات لها ثأر،

أجيال لها وأجيال ليس لها،

ساحات يستردّها البحرُ،

عقولٌ جافّة وعقولٌ رِقّة.

**

يحوكُ حقلاً، منزلاً،

عثراتٍ، ظلاماً، دماراً،

ينطقُ، لا ينطقُ،

ينصتُ، لا ينصتُ،

يفرُّ زحفاً، عدواً، طيراناً.

الشريعة

دائماً واحدة.

**

مخنوقٌ،

محروقٌ، مقطَّعٌ، مفرَّمٌ،

ينسى عن قِلّة عِلم أو فهِم،

يهرب مِنَ الدبّ إلى الجبّ،

ينتبه ولا ينتبه.

**

نافحتُ عنكَ ونافحتَ عني،

انتشلتُكَ مِنْ غرق وانتشلتَني من غرق،

تصافحنا، تخاصمنا،

قلتَ إنّ الناحية هي هذه،

وأنا قلتُ هي تلك،

أردتُ الإستئثار

وأنتَ لم يكن خيار أمامك

سوى أن تقف وتعارضني.

التحمنا بالسلاح الأبيض،

جنَحَ ميزانُ الحقّ صوبك وجنحَ صوبي

بحسب مَنْ يكون المنتصِر.

تطاحنّا

لأني لا أسمعك

ولأنّك لا تسمعني،

أو لأنّي لا أراك

ولا أنتَ تراني.

**

حمولاتٌ

في كلِّ لغةٍ

وخطّةٌ بالقرعة.

ألوانٌ راسخةٌ، ألوانٌ نازحةٌ،

أفراحُ منتصِر، أتراحُ منكسِر،

أواصر مربوطة، أواصر مقطوعة،

حواجز في النفوس وفي النصوص،

فرادى وحوافر،

فضائلُ الحبّ وعاقبةُ عملِ اللئيم.

يبتنون

على الرمل

لا على الصخر

ويرجعون إلى الوراء

وفيهم غبطة تثيرُ الذعر.

غرام بالظلام،

زهرات تجرؤ، تيه في تيه،

لا رؤوسَ في الرؤوس،

محلُّك يُسلخ منك،

روائح طيّبة، روائح كريهة،

قصّةٌ خاتمتُها صدى،

أثرٌ وامّحاء.

**

ما استجدَّ،

ما اختبرَ، ما لم يرأفْ،

ما سعى لأجلِه، ما لم يسع لأجله،

ما فقدَ ولم يعثر، ما كسَرَ الخاطر،

ما غَشَّ وما أحزنَ.

**

مَنْ يطلب أن يرحل

ومن يطلب أن يمكث.

مَنْ يرى،

مَنْ لا يريد أن يرى،

مَنْ ينسى، من لا ينسى،

مَنْ ينتبه، مَنْ لا ينتبه،

ومن لا يريد أن ينتبه.

جنونُ البقر أين يلتقي وأين يفترق

مع إنفلوانزا الطيور وإنفلوانزا الخنازير؟.

الهزّاتُ الأرضيّة،

البراكين، الأعاصير،

وعبثُ النيازك

إقرارٌ بالفوضى.

_ 2 _

في بالِ العدم

خطرتْ حياةٌ صعبة.

**

عقارب

عند عتبةِ البيتِ ،

على الجدران، في الزوايا، في السقفِ،

تملأُ الأشجار كأنّها ثمار ،

وطابور منها بعدَ طابور يقفز في النهر

طلباً للضفّة الثانية بخوفٍ وأمل،

وطابور بعدَ طابور يقفز في الهواء ويتلاشى.

**

يفتحُ عتمتَه

ويدخل غربتَه.

**

يكون الحديث على وجه التقريب،

خصوصاً في المسائل التي لم يُبَت بها بالبرهان،

والمتعادِلان يمضيان متعاكسين،

وأي خلل بسبب من جهالة أو سوء تقدير

قياساتٌ ستسقط.

**

تتقيّد

حين يجب أن تكون حرّاً؟.

تتقيّد

مِنْ تلقاء نفسك

حين يجب أن تتنفّس ملء رئتيك؟.

تتقيّد

حين يجب أن تناضل

لئلاّ يكون قيد

على السعادة التي تُقرَض؟.

**

مدن

لا أبطال فيها .

**

مدن

ليس فيها مدن.

**

مدن

كلّها مدن.

**

يخرج المارد مِنَ القمقم

ويقول إنّه سمكة بوري أو سرغوس

ويصير من فوره،

إنّه شجرة كينا أو أكاسيا

ويصير من فوره،

إنّه أناكوندا، كوالا، كنغر، كاكوبارا،

وكلّ ما يقول يصير،

ولم يغادر شيئاً إلاّ وانقلبَ إليه.

**

روحُ زهرِ الليمون،

اللوزِ الأخضرِ الممتلئِ،

الدفلى الطيّب وله قلب مرّ،

الملح الذي عمله أن يمتزج في الجميع

فيمتزج الجميع فيه،

الإجاص الفكِه،

الخسّ الذي برجه برج الدلو،

الأرض المفلوحةِ التي تحنّ

من أجل أبنائها المتطلّعين إلى الأجمل،

الجبال الراسخة

التي يصعد إليها وينحدر منها جيل بعدَ جيل،

العمل الذي له رائحة صمغ المشمش،

خرير النهر، مودّة الدفءِ،

الرِقّة التي إذا خُيِّرَتْ بين الإنكسار وبين الإنتصار

تجرح ذاتَها وتنكسر ولا تجرح غيرَها وتنتصر.

**

وثبَ اللئيمُ على الغشيم،

وفي التكّةِ أضاءتِ السماءُ بالبروقِ

وزمجرتْ بكلِّ طاقتِها التي تُذهِل.

ذُعِرَ الغشيم،

طارتْ منه صخرةٌ

جذورُها ثابتة في الأرض

وأصابتِ اللئيمَ

الذي طار عموديّاً في السماء

واخترقَ الغيومَ السود

حتى إذا بلغَ نقطةً

لم يكن له أن يتجاوزَها.

استعجلتِ الجاذبيّةُ وردّتْه،

وسقط على الأرض محدِثاً حفرةً

استقرَّ فيها هامداً

لولا رحمة تداركته وفتحتْ عينيه.

رأى ما تمنّى

لو لم تنفتحا.

كان الغشيمُ عند رأسه

يزفر ويشهق مصدِراً صوتاً ولا أنكر

ويُلاكم الهواءَ كأنّه الأبجر

حصان الفارس عنتر

أو الأخرج

حصان البطل الزير

الذي حمّلَ القِربَ فوق ظهْر أسد

ونهرَه نحو مضارب العرب.

أيقنَ الطالبُ

أنّه هو المطلوب.

وكأنّه رفّاص مضغوط وارتفع الضغط عنه،

أو كأنّه عصفور محبوس في قفص وعثرَ على منفَذ للهرب،

أو كأنّه صاروخ جاهز للإنطلاق،

هكذا قفزَ أو فرَّ أو طار أو انطلق.

**

أنا الظالم المظلوم والمظلوم الظالم.

أنا القاتل المقتول وأنا المقتول القاتل.

**

قامَ البحرُ وقعد،

زمجر، أرغى، أزبد،

لأنَّ عاصفةً

هاربةً مِنْ وجه العدالةِ

عبرتْ مجالَه.

**

زفَرَ الغشيمُ وشهقَ،

فرَّ الجرذُ إلى جحرِه والنملُ إلى وكْرِه

والنحلُ إلى خليّتِه أو قفيره والطيرُ إلى عشِّه

والسبعُ إلى غابتِه.

**

احتشدتِ الغيومُ

متّشحةً بالسواد.

نفَثَ بركانٌ هائلٌ

لم يتعكّر مزاجُه منذُ قديمٍ

دخاناً إنذاراً.

ولمّا لا مَنْ يفهم

ولا مَنْ يفهمون

انفجرَ قهراً

وشالقَ بالصخورِ

والنيران.

غاباتٌ احترقتْ،

لم تنطفئ إلاّ بعدما

هطلَ المطرُ الغزيرُ ،

وجرتِ سيولٌ عارمة،

جارفةً بطريقِها

كلَّ بيتٍ

لم ينهض على الصخر.

**

أنا المتأمِّلُ والمتألِّم،

أنا الحكيمُ والجاهلُ، العالي والخفيض،

الصاعدُ والهابطُ، الشجاعُ والجبانُ، الصالحُ والطالحُ،

الحاكمُ المحكومُ والمحكومُ الحاكمُ،

الحيُّ والميْتُ والحيُّ الميْتُ والميْتُ الحيُّ،

أنا كلّ شيءٍ ولا شيء.

**

ما يراك، ما تراه،

ما لا يراك وما لا تراه.

ما يحثُّك، ما تحثُّه،

ما لا يحثّك وما لا تحثّه.

ما يستخفُّ وما تستخفُّ،

ما لا يصدّق وما لا تصدّق،

ما يخذلُك وما تخذلُه،

ما يفرُّ ، ما تفرُّ،

ما يُقصِيك، ما تُقصِيه،

ما يصدُّك، ما تصدُّه،

ما يهجم عليك، ما تهجم عليه،

ما يشاء، ما تشاء،

ما سيشاء وما ستشاء،

ما أحزنَكما، ما أفرحكما،

ما شرّدَكما، ما جمعكما وما هداكما.

**

أبناءُ الجبالِ الشامخةِ

أكفُّهم حقولٌ، ظهورُهم صخورٌ،

واعتقادُهم العالي جذورٌ راسخة.

**

مَنْ يقول حجراً ومن يقول ماءً،

مَنْ يقول الوراء ومَنْ يقول الأمام،

من ينتبه ومن لا يريد أن ينتبه،

من يسعى ومن لا يسعى،

من ينسى، ومن لا يريد أن ينسى.

**

ظهرَ واختفى

في غابات لا تحدّها أبصار،

ظهر واختبأَ

في مغائر حيث أشعلَ النيران

وسمعتِ الكائناتُ كلمات،

وتآمر مع ضعفاء

للإنقضاض على ديناصورات

كانت تحيا بينهم وعليهم.

**

خرجَ البحرُ من البحرِ

لكي يعيشَ في بحرٍ آخَر.

**

المصابيح المنيرة

حكماء مستنيرون.

**

وكلّما ضاقتْ أمكنةٌ

كلّما اتّسعتْ صحراء.

_ 3 _

إشاراتٌ

قبلَ الموجةِ التالية.

**

صيّادُ سمك ولا ماء،

يجذبُ الخيط ولا خيط،

يفكُّ السمكةَ مِنَ الصنّارةِ ولا سمكة،

يضعها في السلّةِ دامعاً ولا سلّة.

**

أرواح محشوّةٌ صدأً،

جاذبيّةٌ مثقلةٌ بالرصاص،

مَنْ سرقَ وادّعى أنّه سُرِق،

الذين اقتَحَموا قريةً آمنة

وأضرَموا النيران في أعشاشها،

الذين قتلوا كلَّ مَن حاول أن يفرّ،

وقضى مَنْ لم يستطع احتراقاً أو اختناقاً.

**

أمكنةٌ

كلّها أمكنة

ولا تقدّم مكاناً.

**

أمكنةٌ

لا مكانَ لها أو فيها.

**

حافّةُ الأتون،

أحزمةُ الفقر،

حملانٌ، ذئاب،

وأسماكٌ صغيرةٌ

تتخطّفُها أسماكٌ كبيرةٌ

بعنفٍ ومرح.

**

منارةٌ

مطفأةٌ

وشموعُ أعياد ميلاد

محطّمة.

**

"بدأتْ جماعة

بتحريف أقوالِها

عوض الإعلان عن هزيمتِها".

**

الأرنبُ

يُسرِعُ كأنَّه

لا وقتَ لديه بعدُ،

والسلحفاةُ

تتمهّل كأنَّ الوقتَ

بعدُ كلّه لها.

**

نسبيّةُ حكمةٍ

بهيئةِ عمائر مخرَّبة

وحضارات بائدة.

**

سِعةٌ

لا يحدُّها حدٌّ

أو لا يحصرُها

عقل.

**

يُلقي الشِباك

مصطاداً الضباب.

**

يرى جريئاً

بعاطفةٍ نبيلة.

**

طرقٌ ضيّقة، طرقٌ فسيحة،

وطرقٌ لا تُرى بالعين المجرّدة.

**

الشموخُ بالإنسانيّة

للشموخِ بالإنسانيّة.

**

الإعتقادُ

بشموخِ الإنسانيّة

التي تؤدِّب

مِنْ أجلِ الشموخ بالإنسانيّة.

**

أحلامُ

إنقاذِ غرقى.

**

وأرسلَ

إنّه أبداً لم يصل.

_ 4 _

له وجه زرافة؟

هل لنا وجوه زرافات؟.

**

رأيتُه جملَ محامل،

أسدَ غضب، حصانَ عِزّةٍ،

زرافةَ إلفةٍ، نيراناً تنتقم،

عاصفةً تنتّف أوراقَ الشجر،

حدّاداً يعمل إزميلاً أو منجلاً أو سيفاً،

نجمَ هدايةٍ،

طيراً مهاجراً، مطراً شفيفاً،

سهلَ قمح، مرجاً فسيحاً، جبلاً شاهقاً،

أنشطَ مِنَ النملِ والنحلِ

وأكيسَ مِن الحجارةِ الكريمة.

**

يركضُ

خلفَ الخراف،

ويعدُّ النجومَ

كالأطفال.

**

يدخل إلى داخله

راجعاً إلى داخله.

**

يظنّ رحيقاً،

مطراً شفيفاً

وشجرةً باسقةً.

**

رأيته برشاقةِ غزال،

بجرأةِ صقر، بقوّةِ فيل،

بحكمةِ بومة، بشدوِ بلبل،

بسخاءِ سماءٍ رحيمة،

بعينيّ فلاّح يرى إلى حقلِه

يمحق به الجراد،

بعينيّ بحّار في بحرٍ هائجٍ،

وفي ليلِ الليل يرى وميضَ المنارة.

**

رأيته بعينيّ زاجلٍ

يرى إلى حمامِه عائداً مِنْ سَفر،

بعينِ زهرِ الصبّار، بعينِ عبّادِ الشمس،

عيناً فيها عين فيها عين،

حكيماً يزن بميزان الذهب،

وكائناً بلا إسمٍ بعدُ.

**

الذِهابُ صناعةٌ

والإيابُ رؤية ورؤيا.

**

ويتلاشى

كأنْ لم يكن.

_ 5 _

رأيتُه أبطأ مِنَ السلحفاة،

أجهلَ مِنَ الرمل، حيّةً تتسلّل إلى عشٍّ،

منشاراً يعمل نشراً بغابة،

علَقاً يعيش على الدمّ،

بعتمةِ ضبع، بتكشيرةِ ذئب، بأنانيّةِ فهد،

بجديّةِ وحديّةِ عقرب،

بعينَي مَنْ يرى إلى عينَي مختلٍّ،

وبركاناً لا يَحتمل بعدُ.

**

رأيته بعينيّ الصباحِ الرائقتين،

بعينيّ الظهيرة الساكنتين، بعينيّ المساءِ الآسفتين،

بعينيّ الليلِ التائهتين،

بعينيّ الربيعِ الآملتين، بعينيّ الصيفِ الدافئتين،

بعينيّ الخريفِ العارفتين

وبعينيّ الشتاء الدامعتين.

**

ما تحاملَ وما نفَرَ،

ما يحاولُ أن يستردَّ،

ما ضاعَ، ما سيضيعُ،

ما أوّلَك، ما أوّلتَه،

ما حفَرَ، ما يحفرُ،

ما شاءَ، ما نشأ،

الصدى وصداه.

**

أمكنةٌ

يتراكمُ الرملُ عليها.

**

عبدٌ إفريقيّ

يُقذَف في عرض البحرِ

مِنْ سفينةِ نخاسةٍ

لأنّه زائد عن العدد المحدّد

لكلِّ سفينةِ نخاسة.

**

في روحِه إنتصار وفي وجهه رِقّة،

في روحه إحتيال وفي وجهه خِسّة،

في روحِه نقمة وفي وجهه وجوم،

في روحِه عطاء وفي وجهه رضى،

في روحه لياقة وفي وجهه مرح،

وفي روحه رحمة وفي وجهه انتصار.

**

الشمسُ في الأعالي

وعلى الأرض الألوان.

\\

استردَّ، تقدّمَ، تأخّرَ،

أوقدَ، أطفأَ، وهَبَ، نهبَ،

التأمَ، استقامَ، استولدَ، قلّدَ،

استوثقَ، رفعَ، وضعَ، أبدعَ، اتّبعَ، ارتفعَ، وقعَ،

أمِلَ، استغفلَ، عمّرَ، دمّرَ،

تعاقبَ، قعد، قامَ، زرعَ وحصَد.

\\

مكافح، متبلّد،

مشتعل، مُكسِّر، مُكسَّر، مُيئِّس، منتكِس،

منقطِع، مضيّع، مُضيَّع،

متردِّد، منتقِم، مُضيِّق، مُعِزّ، مُؤيِّد، مُنَدِّد،

مُذِلّ، مؤمِّل، مُنبِّه، مُخدِّر، مُخدَّر، مُوَسِّع، مُدبِّر،

مُسيِّب، مُسيَّب، مُضلِّل، مُشرِّد، مُحيِّر، مُخيِّر، مُغيِّر،

مُثبِّت، مُثبَّت، مُفرِّط، موفِّق، موفَّق، مُعتقَل، مُعتَقِل، مُحرِّر، مُقِرٌّ،

مُسعِف، مُقبِل، مُدبِر، مُحِبّ، كارِه، مُستأمِن،

مُحارِب، مُحارَب، مُفسِح، مُرشِد، مُحبِط، مُحبَط،

مُمسِك، مُمسَك، مُهلِك، مُسعِد، محزِن، مُصلِح،

مُفسِد، مُفسَد، مُفقِر، مُخصِب، مُمحِل، مؤنِس، موحِش، مُكرِم،

مُسقِم، مُبرئ، مُحوِج، مُلئِم، مُنقِض، مُنقَض،

مُكرِه، مُقفِر، مُشعِل، مُطفِئ، مُوهِم، مُوهَم، مُعاكِس، مُعاكَس،

مُنكِر ومؤسِف.

\\

يأتي ويرحل،

مسافات آهلة بالرمل،

رعاة ونمل.

\\

Shawkimoselmani1957@gmail.com

2012